سورة الجاثية

مكيَّةٌ كلُّها في قول الحسن [وعطاء] وجابر وعكرمة. وقال ابن عباس وقتادة: إلَّا آية، هي: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: ١٤] نزلت بالمدينة في عمرَ بن الخطاب ﷺ؛ ذكره الماوردي[١].

وقال المهدوي والنَّحَّاس عن ابن عباس: إنَّها نزلت في عمر ﷺ، شتَمه رجلٌ من المشركين بمكَّة قبل الهجرة، فأراد أنْ يبطش به، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾. ثم نُسِخت بقوله: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[٢] [التوبة: ٥]. فالسورةُ كلُّها مكيةٌ على هذا من غير خلاف. وهي سبعٌ وثلاثون آية. وقيل: ست[٣].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ مبتدأ، و﴿تَنزِيلُ﴾ خبرُه. وقال بعضهم: «حم» اسم السورة، و«تَنْزِيلُ الْكِتَابِ» مبتدأ، وخبره «مِنَ اللَّهِ».

و«الكتاب»: القرآن. و«الْعَزِيزِ»: المنيع. «الحكِيم» في فعله. وقد تقدَّم جميعُ هذا[٤].

---

(١) في النكت والعيون ٥ / ٢٦٠ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٦٢٥ ، وسيتكلم المصنف عليه ١٩/ ١٥٠ .

(٣) الكشاف ٣/ ٥٠٨ .

(٤) ١/ ٤٢٩ ، ٢/ ٤٠٣ - ٤٠٤ .

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: في خلقهما ﴿لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾ يعني المطر. ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ تقدَّم جميعه مستوفًى في «البقرة» وغيرها[١].

وقراءةُ العامَّة: ﴿وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ﴾ ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ﴾ بالرفع فيهما. وقرأ حمزةُ والكسائيّ بكسر التاء فيهما[٢].

ولا خلاف في الأوَّل أنَّه بالنصب على اسم «إنَّ»، وخبرُها «في السَّماوَاتِ». ووجه الكسر في «آيات» الثاني العطفُ على ما عملت فيه؛ التقدير: إنَّ في خلقكم وما يبثُّ منْ دابَّةٍ آياتٍ.

فأمَّا الثالث فقيل: إنَّ وجهَ النصب فيه تكريرُ «آيَات» لمَّا طال الكلام؛ كما تقول: ضربتُ زيداً زيداً[٣].

وقيل: إنَّه على الحمل على ما عملَتْ فيه «إنَّ» على تقدير حذف «في»؛ التقدير: وفي اختلاف الليل والنهار آياتٍ. فَحُذِفت «في» لتقدُّم ذكرها. وأنشد سيبويه في الحذف[٤]:

---

(١) ٢/ ٤٩٠ وما بعدها، و١٦/ ٤٦٦ .

(٢) السبعة ص ٥٩٤ ، والتيسير ص ١٩٨ .

(٣) ويكون قوله تعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ معطوفاً على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ . كما ذكر مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٦٠ ، ومثَّل له بقوله: ما زيدٌ قائماً ولا جالساً زيدٌ، فنصب جالساً على أن زيداً الأخير هو الأول، ولكن أظهرته ثانيةً للتأكيد. ومثَّل له العكبري في الإملاء ٢/ ٢٣٢: بقوله: إن بثوبك دماً وبثوب زيد دماً. فدم الثاني مكرر؛ لأنك مستغنٍ عن ذكره.

(٤) الكتاب ١/ ٦٦ ، ونسبه لأبي دؤاد.

أَكُلَّ امرئٍ تَحْسِبِينَ امرأً ونارٍ تَوَقَّدُ بالليل نارا

فحذفَ «كلّ» المضاف إلى نارٍ المجرورة لتقدُّمِ ذكرها.

وقيل: هو من باب العطف على عاملَين. ولم يُجِزْه سيبويه، وأجازَه الأخفش وجماعةٌ من الكوفيين؛ فعطفَ «واخْتِلَافِ» على قوله: «وفي خَلْقِكُمْ» ثم قال: «وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٍ» فيحتاجُ إلى العطف على عاملين، والعطف على عاملين قبيحٌ من أجل أنَّ حروفَ العطف تنوب منابَ العامل، فلم تَقْوَ أنْ تنوبَ مناب عاملين مختلفين؛ إذْ لو نابَ مناب رافعٍ وناصب، لكان رافعاً ناصبًا في حال.

وأمَّا قراءةُ الرفع فحملاً على موضع «إنّ» مع ما عملت فيه.

وقد ألزم[١] النحويون في ذلك أيضاً العطفَ على عاملين؛ لأنَّه عَطَف[٢] «وَاخْتِلَافِ» على «وفِي خَلْقِكُمْ»، وعطف «آيات» على موضع «آيات» الأوَّل، ولكنَّه يقدَّر على تكرير «في».[٣]

ويجوزُ أنْ يُرفَع على القطع ممَّا قبلَه فيرفع بالابتداء، وما قبلَه خبره، ويكون عطفَ جملةٍ على جملة. وحكى الفرَّاء رفع «واختِلاف» و«آيات» جميعاً، وجعلَ الاختلاف هو الآيات[٤].

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ أي: هذه آياتُ الله، أي: حُجَجُه وبراهينُه الدالَّةُ على وحدانيته وقدرته.

---

(١) في (د) و(ز) و(ق) : التزمت ، وفي (ظ): التزم .

(٢) بعدها في النسخ الخطية : على .

(٣) ينظر معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٣٢ ، والبيان لأبي البركات ابن الأنباري ٢/ ٣٦٣ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٤٥ . ونقله عنه النحاس في إعراب القرآن له ٤/ ١٤١ وقال : وقد كفى المؤونة فيه بأن قال : ولم أسمع أحداً قرأ به .

﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالصِّدق الذي لا باطلَ ولا كذب فيه. وقُرئ: «يَتْلُوهَا» بالياء[١].

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي: بعدَ حديث الله، وقيل: بعدَ قرآنه[٢] ﴿وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ وقراءةُ العامَّة بالياء على الخبر، وقرأ ابنُ مُحَيْصن، وأبو بكر عن عاصم، وحمزةُ، والكسائيُّ: «تُؤْمِنُونَ» بالتاء على الخطاب[٣].

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ «وَيْلٌ» وادٍ في جهنم[٤]. توعَّد من ترك الاستدلال بآياته. والأفَّاك: الكذَّاب، والإفكُ: الكذب. «أثيم» أي: مرتكبٌ للإثم[٥]. والمراد فيما رُوِيَ: النضرُ بن الحارث[٦]. وعن ابن عباس أنَّه الحارثُ بن كَلَدة[٧]. وحكى الثعلبيُّ أنَّه أبو جهل[٨] وأصحابه.

﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ يعني آيات القرآن. ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾ أي: يتمادى على

---

(١) ذكرها الزمخشري في الكشاف ٣/ ٥٠٩، وهي قراءة شاذة.

(٢) ينظر الكشاف ٣/ ٥٠٩.

(٣) وهي قراءة ابن عامر ـ من السبعة ـ أيضاً. السبعة ص ٥٩٤، والتيسير ص ١٩٨.

(٤) قطعة من حديث أخرجه أحمد (١١٧١٢) عن أبي سعيد الخدري. وإسناده ضعيف. وسلف ٢/ ٢٢٠ - ٢٢١.

(٥) في (ظ): الإثم.

(٦) ذكر هذا القول أبو الليث في تفسيره ٣/ ٢٢٣، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٢٦٣ لابن جريج.

(٧) قول ابن عباس كما في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٤٢: أن الآية نزلت في النضر بن كلدة، وفي زاد المسير ٧/ ٣٥٥ عن ابن عباس أيضاً أنها نزلت في النضر بن الحارث.

(٨) وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٨١، وذكر القول الآخر في أنها نزلت في النضر بن الحارث. ثم قال: والصواب أن سببها ما كان المذكوران وغيرهما يفعل، وأنها تعم كل من دخل تحت الأوصاف المذكورة إلى يوم القيامة.

كفره متعظِّمًا في نفسه عن الانقياد[١]؛ مأخوذٌ من صرَّ الصُّرة: إذا شدَّها. قال معناه ابن عباس وغيره[٢].

وقيل: أصلُه من إصرار الحمار على العانة[٣]، وهو أنْ ينحنيَ عليها صارًّا أذنيه. و«أنْ» من «كأَنْ» مخففةٌ من الثقيلة؛ كأنَّه لم يسمعها، والضميرُ ضميرُ الشأن؛ كما في قوله:

كأَنْ ظَبْيَةً تَعْطُو إلى ناضر السَّلَمْ[٤]

ومحل الجملة النصب [على الحال]، أي يُصِرُّ مثلَ غير السامع[٥]. وقد تقدَّم في أوَّل «لقمان» القولُ في معنى هذه الآية[٦]. وتقدَّم معنى ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ في «البقرة»[٧].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ﴾ نحو قوله في الزَّقُّوم: إنَّه الزُّبدُ

(١) مجمع البيان ٢٥/ ١٢٧.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٦١. وفيه أن قائله ابن عيسى. بدل: ابن عباس.

(٣) العانة: الأتان. القاموس المحيط (عون).

(٤) هو عجز بيت صدره: ويوماً توافينا بوجه مُقَسَّم. نسبه سيبويه في الكتاب ٢/ ١٣٤ لابن صريم اليشكري، ونسبه صاحب الأصمعيات ص ١٥٧ لعِلْبَاء بن أرقم. وتعطو: تناول، يقال: عطا يعطو، إذا تناول. ويروى: وارق السلم. بدل: ناضر. وناضر من النضارة، وهي الحسن وأراد به خضرته. والسَّلَم: ضربٌ من شجر البادية يعظم وله شوك، واحدته سَلَمة. ينظر خزانة الآداب ١٠/ ٤١٦.

(٥) الكشاف ٣/ ٥٠٩. وما سلف بين حاصرتين منه، وتفسير الرازي ٢٧/ ٢٦١.

(٦) ١٦/ ٤٦٥.

(٧) ١/ ٣٠١، ٣٥٨.

والتمر[١]، وقوله في خزنة جهنم: إنْ كانوا تسعةَ عشر فأنا ألقاهُم وحدي[٢]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ مُذِلٌّ مخزٍ.

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: من وراء ما هم فيه من التعزُّز في الدنيا والتكبُّر عن الحقِّ جهنمُ[٣]. وقال ابن عباس: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: أمامهم[٤]، نظيره: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٦] أي: من أمامه. قال:

أليسَ ورائي إنْ تراخت منيَّتي أَدُبُّ مع الولدان أزحَفُ كالنَّسْر[٥]

﴿وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا﴾ أي: من المال والولد؛ نظيره: ﴿لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٠][٦].

﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني: الأصنام. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: دائمٌ مؤلم.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ ابتداءٌ وخبر؛ يعني القرآن. وقال ابن عباس: يعني كلَّ ما جاء به محمدٌ ﷺ. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: جحدوا دلائله.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ الرجز: العذاب، أي: لهم عذابٌ من عذابٍ أليم؛

---

(١) القائل أبو جهل كما أخرجه الطبري ١٤/ ٦٤٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) وهو حكاية عن استهزاء أبي جهل بالخَزَنة التسعة عشر أخرجه الطبري ٢٣/ ٤٣٦ عن ابن عباس وقتادة وابن زيد، ولفظ رواية ابن عباس أنَّ أبا جهل قال لقريش: أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أنّ خزنة النار تسعة عشر، وأنتم الدَّهم، أفيعجز كلُّ عشرة منكم أن يبطشوا برجلٍ من خزنة جهنم؟ . . .

(٣) مجمع البيان ٢٥/ ١٢٧.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٩٥.

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف ٣/ ٥١٠. دون نسبة. والشطر الأول صدر بيت للبيد، وعجزه: لزومُ العصا تُحنى عليها الأصابعُ. وهو في ديوانه ص ١٧٠، وسلف ١٢/ ١٢٠.

(٦) بعدها في (د) و(ز) و(م): أي من المال والولد.

دليله قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٥٩] أي: عذاباً. وقيل: الرِّجز القذَر مثل الرِّجس؛ وهو كقوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٦] أي: لهم عذابٌ مِن تَجَرُّع الشراب القذِر[١].

وضمَّ الراءَ من الرِّجز ابنُ محيصن حيث وقع[٢]. وقرأ ابنُ كثير وابن محيصن وحفص: «أَلِيمٌ» بالرفع[٣]؛ على معنى لهم عذابٌ أليمٌ من رجز. الباقون بالخفض نعتاً للرجز.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ذكرَ كمالَ قدرته وتمام نعمته على عباده، وبيَّن أنَّه خلقَ ما خلقَ لمنافعهم. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ يعني: أنَّ ذلك فعلُه وخلقُه وإحسانٌ منه وإنعام. وقرأ ابنُ عباس والجحدريُّ وغيرُهما: «جَمِيعاً مِنَّةً» بكسر الميم وتشديد النون وتنوين الهاء، منصوباً على المصدر[٤]. قال أبو عمرو: وكذلك سمعتُ مَسْلَمَة يقرؤُها: «مِنّةً»[٥] أي: تفضُّلاً وكرمًا. وعن مَسْلَمَة بن مُحارب أيضاً: «جميعًا مَنُّهُ»

---

(١) الكلام بنحوه في الحجة لأبي علي الفارسي ٦/ ١٧٤ - ١٧٥ ، وينظر ما سلف ٢/ ١٣٤ .

(٢) إتحاف فضلاء البشر ص ١٨٠ .

(٣) السبعة ص ٥٩٤ ، والتيسير ص ١٨٠ . وقراءة ابن محيصن في المحرر الوجيز ٥/ ٨٢ .

(٤) المحتسب ٢/ ٢٦٢ . ونقل ابن عطية في المحرر ٥/ ٨٢ عن أبي حاتم قوله: سند هذه القراءة إلى ابن عباس مظلم .

(٥) لم نقف عليها. وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٨٢ ، والسمين في الدر المصون ٩/ ٦٤٥ عن مسلمة بن محارب: مِنَّةٌ؛ بكسر الميم ، وبالرفع في التاء . ومسلمة: هو ابن عبد الله بن محارب ، أبو عبد الله الفِهري البصري النحوي ، له اختيار في القراءة . . كان مع ابن إسحاق وأبي عمرو بن العلاء ، وقال مجاهد : كان من العلماء بالعربية . غاية النهاية ٢/ ٢٩٨ .

على إضافة المنِّ إلى هاء الكناية. وهو عند أبي حاتم خبرُ ابتداءٍ محذوف، أي: ذلك، أو هو مَنُّه[١]. وقراءة الجماعة ظاهرة. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ جزم على جواب «قُلْ» تشبيهًا بالشرط والجزاء؛ كقولك: قُمْ تُصِب خيرًا[٢]. وقيل: هو على حذف اللام. وقيل: على معنى قل لهم: اغفروا؛ يغفروا؛ فهو جوابُ أمرٍ محذوف؛ دلَّ الكلامُ عليه؛ قاله عليّ بن عيسى واختاره ابن العربيّ[٣].

ونزلت الآيةُ بسبب أنَّ رجلاً من قريش شتم عمرَ بن الخطاب، فهمَّ أنْ يبطشَ به. قال ابنُ العربيّ: وهذا لم يصح[٤].

وذكر الواحديُّ[٥] والقشيريُّ وغيرهما عن ابن عباس أنَّ الآيةَ نزلت في عمرَ مع عبد الله بن أُبَيّ في غَزْوة بني المُصْطَلِق، فإنَّهم نزلُوا على بئرٍ يُقَال لها: المُرَيْسِيع، فأرسلَ عبدُ الله غلامه ليستقي، وأَبطأ عليه فقال: ما حبسَك؟ قال: غلامُ عمرَ بن الخطاب قعد على فم البئر، فما ترك أحداً يستقي حتى ملأَ قِربَ النبيِّ ﷺ وقِرَب أبي بكر، وملأَ لمولاه. فقال عبد الله: ما مَثَلُنا ومثلُ هؤلاء إلَّا كما قيل: سَمِّن كلبك يأكُلْك. فبلغ عمرَ ﷺ قولُه، فاشتملَ على سيفه يريد التوجُّه إليه ليقتلَه؛ فأنزلَ الله هذه الآية. هذه روايةُ عطاء عن ابن عباس.

---

(١) المحتسب ٢/ ٢٦٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٤٦، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٤٣.

(٣) نقله عن علي بن عيسى النحاسُ في إعراب القرآن ٤/ ١٤٣، واختيار ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٦٨١.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٨١، وسلف الخبر في سبب النزول ص١٤٣ من هذا الجزء.

(٥) في أسباب النزول ص٤٠١.

ورَوى عنه ميمونُ بن مِهران قال: لمَّا نزلت ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال يهوديٌّ بالمدينة يقالُ له فِنحاص: احتاج ربُّ محمد! قال: فلمَّا سمع عمرُ بذلك اشتملَ على سيفه وخرج في طلبه، فجاءَ جبريلُ عليه السلام إلى النبيِّ ﷺ فقال: إنَّ ربّك يقول لك: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾. واعلم أنَّ عمرَ قد اشتملَ على سيفه، وخرجَ في طلب اليهودّي؛ فبعثَ رسولُ الله ﷺ في طلبه، فلمَّا جاء قال: «يا عمر، ضَعْ سيفك» قال: يا رسول الله، صدقت، أشهدُ أنَّك أُرسِلت بالحق. قال: «فإنَّ ربك يقول: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ قال: لا جرم! والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي»[١].

قلت: وما ذكره المهدوِيُّ والنَّحّاس[٢] فهو رواية الضَّحّاك عن ابن عباس، وهو قول القُرَظيّ والسُّدِّي[٣]، وعليه يتوجَّه النسخُ في الآية. وعلى أنَّ الآيةَ نزلت بالمدينة، أو في غزوة بني المُصْطَلِق؛ فليست بمنسوخة.

ومعنى «يَغْفِرُوا»: يعفوا ويتجاوزوا. ومعنى «لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ»: أي: لا يرجون ثوابَه. وقيل: أي لا يَخافون بأسَ الله ونِقَمه. وقيل: الرجاءُ بمعنى الخوف؛ كقوله: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: لا تخافون له عظمةً. والمعنى: لا يَخْشَوْن[٤] مثلَ عذاب الأمم الخالية. والأيام يُعبَّر بها عن الوقائع. وقيل: لا يأمُلون نصرَ الله لأوليائه وإيقاعَه بأعدائه[٥]. وقيل: المعنى: لا يخافون البعث.

﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ قراءةُ العامّة: «لِيَجْزِيَ» بالياء على معنى: ليجزيَ اللهُ.

---

(١) أسباب النزول للواحدي ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

(٢) سلف قولهما أول السورة.

(٣) قولهما كما ذكر البغوي في تفسيره ٤/ ١٥٨ : نزل في أناس من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة كانوا في أذىً شديد من المشركين ، من قبل أن يؤمروا بالقتال ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ؛ فأنزل الله هذه الآية .

(٤) في (م) لا تخشون .

(٥) ينظر الكشاف ٣/ ٥١٠ .

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وابنُ عامر: «لِنَجْزِيَ» بالنون على التعظيم. وقرأ أبو جعفر والأعرجُ وشيبةُ: «لِيُجْزى» بياءٍ مضمومة، وفتحِ الزاي على الفعل المجهول، «قَوْماً» بالنصب[١]. قال أبو عمرو: وهذا لحنٌ ظاهر. وقال الكسائيُّ: معناه: ليُجْزَى الجزاءُ قومًا[٢]، نظيره: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ على قراءة ابن عامر وأبي بكر في سورة الأنبياء [الآية: ٨٨][٣]. قال الشاعر:

ولو وَلَدَتْ قُفَيْرَةُ جَرْوَ كَلْبٍ ... لَسُبَّ بذلك الجَرْوِ الكلابا[٤]

أي: لَسُبَّ السَّبُّ.

قوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾

تقدَّم[٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: التوراة. ﴿وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ الحكم: الفهمُ في الكتاب. وقيل: الحكم على النَّاس والقضاء[٦]. «والنُّبُوَّةَ» يعني: الأنبياء من وقت يوسفَ عليه السلام إلى زمن عيسى عليه السلام.

---

(١) السبعة ص٥٩٥ ، والتيسير ص١٩٨ ، والنشر ٢/ ٣٧٢ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ١٥٨ .

(٣) التيسير ص ١٥٥ .

(٤) البيت لجرير، وسلف ١٤/ ٢٧٦ .

(٥) عند تفسير الآية (٤٦) من سورة فصلت.

(٦) الكشاف ٣/ ٥١١ .

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: الحلال من الأقوات والثِّمار والأطعمة التي كانت بالشام. وقيل: يعني المَنَّ والسَّلْوَى في التِّيه.

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: على عالَمِي زمانِهم؛ على ما تقدَّم في «الدخان» بيانه[١].

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ قال ابن عباس: يعني أمرَ النبيِّ ﷺ، وشواهدَ نبوَّته بأنَّه يهاجر من تِهامة إلى يَثْرِب، وينصره أهلُ يثرب[٢]. وقيل: بيِّناتٍ من الأمرِ: شرائعُ واضحاتٌ في الحلال والحرام ومعجزات.

﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ يريد يُوشَع بن نُون؛ فآمنَ بعضهم وكفر بعضهم؛ حكاه النقاش[٣]. وقيل: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بنبوَّة النبيِّ ﷺ فاختلفوا فيها.

﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ أي: حسدًا على النبيِّ ﷺ؛ قال معناه الضحاك[٤]. وقيل: معنى «بَغْيًا»: أي: بَغَى بعضُهم على بعضٍ بطلبِ الفَضْل والرياسة، وقتلوا الأنبياء؛ فكذا مشركو عصرك يا محمد، قد جاءتهم البيِّناتُ، ولكنْ أعرضوا عنها للمنافسة في الرياسة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ﴾ أي: يحكم ويَفْصِل ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾

فيه مسألتان:

---

(١) ص١٢٣ من هذا الجزء.

(٢) تفسير الرازي ٢٧/ ٢٦٥ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٢٦٣ .

(٤) قول الضحاك كما في النكت والعيون ٥/ ٢٦٣ : بغيًا على رسول الله ﷺ في جحود ما في كتابهم من نبوة وصفته.

الأولى: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ الشريعة في اللُّغة: المذهبُ والمِلَّة. ويقال لِمَشْرَعة الماء ـ وهي موردُ الشاربة ـ: شريعة[١]. ومنه الشارع؛ لأنَّه طريقٌ إلى المَقْصِد. فالشريعة: ما شَرَع الله لعباده من الدين، والجمعُ الشرائع[٢]. والشرائع في الدين: المذاهبُ التي شَرَعها الله لخلقه. فمعنى: ﴿جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي: على منهاجٍ واضحٍ من أمر الدّين يَشْرَعُ بك إلى الحقّ.

وقال ابن عباس: «عَلَى شَرِيعَةٍ» أي: على هدًى من الأمر. قتادة: الشريعةُ: الأمرُ والنهيُ والحدودُ والفرائض[٣]. مقاتل: البيِّنة؛ لأنَّها طريقٌ إلى الحقّ. الكلبيّ: السُّنَّة؛ لأنَّه يَستنُّ بطريقة مَن قبله من الأنبياء. ابن زيد: الدِّين؛ لأنَّه طريقُ النجاة[٤].

قال ابن العربيّ[٥]: والأمرُ يَرِدُ في اللُّغة بمعنيين: أحدهما: بمعنى الشأن، كقوله: ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧]. والثاني: أحد أقسام الكلام الذي يقابله النهي. وكلاهما يصحُّ أنْ يكونَ مرادًا هاهنا؛ وتقديرُه: ثمَّ جعلناك على طريقةٍ من الدين، وهي ملَّة الإسلام؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

ولا خلاف أنَّ الله تعالى لم يُغَاير بين الشرائع في التوحيد والمكارم والمصالح، وإنَّما خالفَ بينها[٦] في الفروع؛ حسبما علمه سبحانه.

الثانية: قال ابنُ العربيّ[٧]: ظنَّ بعضُ من تكلَّم[٨] في العلم أنَّ هذه الآيةَ دليلٌ

---

(١) الصحاح (شرع).

(٢) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٢٤ - ٤٢٥.

(٣) أخرجهما الطبري ٢١/ ٨٥.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٢٦٤.

(٥) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٨٢.

(٦) في النسخ: بينهما. والمثبت من أحكام القرآن لابن العربي.

(٧) في أحكام القرآن ٤/ ١٦٨٢، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٨) في (د) و(ز) و(ق) و(م): يتكلم.

على أنَّ شَرْعَ مَنْ قَبْلَنا ليس بشرعٍ لنا؛ لأنَّ الله تعلى أفردَ النبيَّ ﷺ وأمته في هذه الآية بشريعة، ولا ننكر[١] أنَّ النبيَّ ﷺ وأمتَه منفردان بشريعة، وإنَّما الخلافُ فيما أخبر النبيُّ ﷺ عنه مِن شرع مَن قبلَنا في مَعرض المدح والثناء [والعظة]، هل يلزمُ اتِّباعه أم لا؟

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: المشركين. وقال ابن عباس: قُريظة والنَّضِير. وعنه: نزلتْ لمَّا دعته قريشٌ إلى دين آبائه[٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: إنْ اتَّبعتَ أهواءَهم لا يدفعون عنك من عذاب الله شيئاً[٣]. ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ أي: أصدقاءُ وأنصار وأحباب. قال ابن عباس[٤]: يريد أنَّ المنافقينَ أولياءُ اليهود.

﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: ناصرُهم ومُعِينُهم. والمتَّقون هنا: الذين اتَّقوا الشركَ والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ لِلنَّاسِ﴾ ابتداءٌ وخبر، أي: هذا الذي أَنْزلتُ عليك براهينُ ودلائلُ ومعالمُ للنَّاس في الحدود والأحكام[٥]. وقُرِئ: «هَذِهِ بَصَائِرُ» أي: هذه الآيات[٦]. ﴿وَهُدًى﴾ أي: رَشَدٌ وطريقٌ يؤدّي إلى الجنَّة لمن أَخَذَ به. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾

---

(١) في (خ) و(ظ) و(ق): ينكر.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٦٠.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ١٥٩.

(٤) في (ظ): ابن زيد.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ١٥٩.

(٦) الكشاف ٣/ ٥١١، والقراءة المذكورة شاذة.

في الآخرة ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: اكتسبوها. والاجتراح: الاكتساب؛ ومنه الجوارح[١]، وقد تقدَّم في المائدة[٢].

﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال الكلبيّ: «الَّذِينَ اجْتَرَحُوا» عُتبةُ وشَيبةُ ابنا ربيعة والوليدُ بن عُتبة. و«الَّذِينَ آمَنُوا» عليٌّ وحمزةُ وعُبيدةُ بن الحارث ﷺ حين بَرزُوا إليهم يومَ بدرٍ فقتلوهم[٣]. وقيل: نزلت في قومٍ من المشركين قالوا: إنَّهم يُعطَون في الآخرة خيرًا مما يُعطَاه المؤمن[٤]؛ كما أخبر الربُّ عنهم في قوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠].

وقوله: «أَمْ حَسِبَ» استفهامٌ معطوفٌ معناه الإنكار. وأهلُ العربيةُ يُجوِّزون ذلك من غير عطف إذا كان متوسطاً للخطاب. وقوم يقولون: فيه إضمار، أي: والله وليُّ المتقين؛ أفيعلمُ المشركون ذلك؛ أم حسبوا أنَّا نسوِّي بينهم.

وقيل: هي أم المنقطعة، ومعنى الهمزة فيها إنكار الحُسبان[٥]. وقراءةُ العامَّة: «سَوَاءٌ» بالرفع على أنَّه خبرُ ابتداءٍ مقدَّم، أي: محياهم ومماتهم سواء. والضمير في «مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ» يعود على الكفار[٦]، أي: محياهم محيا سوء، ومماتهم كذلك.

---

(١) الكشاف ٣/ ٥١١.

(٢) ٧/ ٣٠٠.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٢٦٤. وخبر المبارزة أخرجه أحمد (٩٤٨) عن علي ﷺ.

(٤) ذكر نحوه البغوي في تفسيره ٤/ ١٥٩.

(٥) الكشاف ٣/ ٥١١.

(٦) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٦٢.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ والأعمشُ: «سَوَاءً» بالنصب[١]، واختاره أبو عبيد قال: معناه نجعلهم سواءً[٢]. وقرأ الأعمش أيضًا وعيسى بن عمر: «وَمَمَاتَهم» بالنصب[٣]؛ على معنى سواءً في محياهم ومماتهم؛ فلما أُسقط الخافضُ انتصب. ويجوزُ أنْ يكون «مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ» بدلاً من الهاء والميم في نجعلهم؛ المعنى: أنْ نجعلَ محياهم ومماتَهم سواءً كمحيا الذين آمنوا ومماتِهم[٤]. ويجوزُ أنْ يكون الضميرُ في «مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ» للكفار والمؤمنين جميعًا[٥].

قال مجاهد: المؤمنُ يموت مؤمنًا ويُبعث مؤمنًا، والكافرُ يموت كافرًا ويُبعث كافرًا[٦]. وذكر ابنُ المبارك: أخبرنا شعبةُ، عن عمرو بن مُرَّة، عن أبي الضُّحى، عن مسروق قال: قال رجلٌ من أهل مكَّة: هذا مقامُ تميم الداري، لقد رأيتُه ذاتَ ليلةٍ حتى أصبح أو قرب أن يُصبح يقرأُ آيةً من كتاب الله، ويركع، ويسجد، ويبكي: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية كلها[٧].

وقال: نُسَير[٨]: بِتُّ عند الربيع بن خُثَيْم ذاتَ ليلةٍ، فقامَ يُصَلِّي، فمرَّ بهذه الآية، فمكث لَيلَه حتى أصبح لم يَعْدُها ببكاءٍ شديد[٩]. وقال إبراهيم بن الأشعث: كثيرًا

---

(١) وهي قراءة حفص عن عاصم أيضاً. السبعة ص ٥٩٥، والتيسير ص ١٩٨. وذكرها عن الأعمش ابنُ خالويه في القراءات الشاذة لابن خالويه ص ١٣٨.

(٢) بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٤٥.

(٣) قراءة الأعمش في القراءات الشاذة ص ١٣٨.

(٤) الكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٤٣٣، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٤٦ - ١٤٧.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ١٥٩.

(٦) تفسير مجاهد ٢/ ٥٩١، وأخرجه الطبري ٢١/ ٨٨ بنحوه.

(٧) الزهد لابن المبارك (٦٤)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٥٠)، وقال ابن حجر في الإصابة ١/ ٣٠٥: رواه البغوي في الجعديات بإسناد صحيح إلى مسروق.

(٨) في النسخ: بشير، والمثبت من المصادر، وهو نُسير بن ذُعْلُوق الثوري مولاهم، أبو طعمة الكوفي. تهذيب التهذيب ٤/ ٢١٦.

(٩) أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٤٧٧، ١٣/ ٣٩٦.

ما رأيتُ الفُضيلَ بن عياض يردِّد من أوَّل الليل إلى آخره هذه الآية ونظيرَها، ثم يقول: ليت شعري! مِن أيِّ الفريقين أنت[١]؟ وكانت هذه الآية تُسمَّى مَبكاة العابدين[٢]، لأنَّها محكمة.

قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالأمر الحقّ. ﴿وَلِتُجْزَىٰ﴾ أي: ولكي تُجزى. ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: في الآخرة. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

قال ابنُ عباس والحسن وقتادة: ذلك الكافر اتَّخذَ دينَه ما يهواه؛ فلا يهوى شيئًا إلَّا ركبه[٣]. وقال عكرمة: أفرأيت من جَعَل إلهه الذي يعبدُه ما يهواه أو يستحسنه؛ فإذا استحسن شيئاً وهَوِيَهُ اتَّخذه إلهًا.

قال سعيدُ بن جُبير: كان أحدُهم يَعبدُ الحجر؛ فإذا رأى ما هو أحسنُ منه رمى به، وعبد الآخر[٤].

وقال مقاتل: نزلت في الحارث بن قيس السهميّ؛ أحد المستهزئين، لأنَّه كان يعبدُ ما تهواه نفسه[٥].

وقال سفيانُ بن عيينة: إنَّما عبدوا الحجارة لأنَّ البيتَ حجارة.

---

(١) ذكرها الزمخشري في الكشاف ٣/ ٥١٢، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٨٥ دون نسبة.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٨٥ ونسب هذا القول للثعلبي.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ١٥٩، وينظر النكت والعيون ٥/ ٢٦٤، وأخرج قول ابن عباسٍ وقتادة الطبريُّ ٢١/ ٩٢ - ٩٣.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٢٦٥.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٦٢.

وقيل: المعنى: أفرأيتَ من يَنقادُ لهواه انقياده لإلهه[١] ومعبودِه؛ تعجيباً لذوي العقول من هذا الجهل[٢].

وقال الحسين بن الفضل: في هذه الآية تقديمٌ وتأخير، مجازه: أفرأيتَ من اتَّخذ هواه إلهه.

وقال الشَّعْبيُّ: إنَّما سُمِّي الهوى؛ لأنَّه يهوي بصاحبه في النَّار.

وقال ابنُ عباس: ما ذَكر اللهُ هَوًى في القرآن إلَّا ذمَّه[٣]، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الأعراف: ١٧٦] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ [الروم: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبيِّ ﷺ: «لا يُؤمن أحدُكم حتى يكون هواه تَبعاً لما جئتُ به»[٤].

وقال أبو أمامة: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «ما عُبِد تحت السماء إلهٌ أبغض إلى الله من الهوى»[٥]. وقال شدَّادُ بن أوس عن النبيِّ ﷺ: «الكَيِّس من دَان نفسَه، وعَمِلَ لِمَا

---

(١) قوله: انقياده لإلهه. من (خ) و(ظ).

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٦٥.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٨٦. وقول الشعبي السالف منه.

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٥)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٤/ ٣٦٩، والبغوي في شرح السنة ١/ ٢١٣.

قال الإمام النووي: حديث حسن صحيح. وينظر كلام الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم ٢/ ٣٩٣ - ٣٩٥.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ الواحدي في الوسيط ٤/ ٩٩. وأخرجه بنحوه ابن أبي عاصم في السنة (٣)، والطبراني في الكبير (٧٥٠٢). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٨٨: وفيه الحسن بن دينار، وهو متروك الحديث. اهـ. وقال ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٣٢٦: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، وفيه جماعة ضعاف، والحسن بن دينار والخصيب كذابان عند علماء النقل.

بعد الموت. والعاجز[١] من أتْبعَ نفسَه هواها، وتمنَّى على الله»[٢]. وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا رأيتَ شُحًّا مطاعًا، وهَوًى مُتَّبَعًا، ودنيا مؤثَرة، وإعجابَ كلِّ ذي رأي برأيه؛ فعليك بخاصَّة نفسك، ودَعْ عنك أمرَ العامَّة»[٣]. وقال ﷺ: «ثلاثٌ مهلكات، وثلاثٌ منجيات، فالمهلكات: شُحٌّ مطاعٌ، وهوًى مُتَّبعٌ، وإعجابُ المرء بنفسه. والمنجياتُ: خشيةُ الله في السرِّ والعلانية، والقصدُ في الغنى والفقر، والعدلُ في الرضا والغضب»[٤]. وقال أبو الدرداء ﷺ: إذا أصبحَ الرجلُ، اجتمعَ هواه وعمله وعلمه؛ فإنْ كان عمله تبعًا لهواه فيومُه يومُ سوء، وإنْ كان عملُه تبعًا لعلمه فيومه يوم صالح[٥].

وقال الأصمعي: سمعتُ رجلاً يقول:

إنَّ الهَوانَ هو الهوى قُلِبَ اسمُه ... فإذا هَوِيتَ فقد لقيتَ هَوانا

وسُئِل ابن المقفَّع عن الهوى فقال: هَوَانٌ سُرقت نونه، فنظمه شاعرٌ فقال[٦]:

نُونُ الهَوانِ من الهَوَى مسروقةٌ ... فإذا هَوِيتَ فقد لقيتَ هَوانا[٧]

وقال آخر:

إنَّ الهوى لهو الهوانُ بعينهِ ... فإذا هَوِيتَ فقد كَسَبتَ هَوانا

---

(١) في (د) و(ز) و(ق) و(م): الفاجر، وفي (ظ): العاجل، والمثبت من (خ) وهو الموافق للمصادر.

(٢) أخرجه أحمد (١٧١٢٣)، وفي إسناده أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف. وسلف بعضه ١/ ٢٢١.

(٣) سلف ٨/ ٢٥٠.

(٤) أخرجه البزار (كشف الأستار) (٨٠)، والطبراني في الأوسط (٥٤٤٨) عن أنس بن مالك ﷺ. قال المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٣٦٢: وهو مروي عن جماعة من الصحابة، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال، فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى.

(٥) ذكره ابن الجوزي في ذم الهوى ص ٢٢، وصفة الصفوة ١/ ٦٣٦ بنحوه.

(٦) في (م): فأخذه شاعر فنظمه وقال.

(٧) ذم الهوى لابن الجوزي ص٣٣. وهذا البيت نسبه الثعالبي في التمثيل والمحاضرة ص١١٣ لعبيد الله ابن عبد الله بن طاهر.

وإذا هَـوِيـتَ فـقـد تـعـبَّـدك الـهـوى فـاخْـضَـعْ لِـحبِّـك كـائـنًـا مـن كـانـا[١]

ولعبد الله بن المبارك:

ومـن الـبـلاء ولـلـبـلاء[٢] عـلامـةٌ أَلَّا يُـرى لـك عـن هـواك نـزوعُ

الـعـبـدُ عـبـدُ الـنَّـفْـس فـي شـهـواتـهـا والـحـرُّ يـشـبـع تـارةً ويـجـوعُ[٣]

ولابن دُرَيْد:

إذا طـالـبـتـك الـنَّـفْـسُ يـومًـا بـشـهـوةٍ وكـان إلـيـهـا لـلـخـلاف طـريـقُ

فَـدَعْـهـا وخـالـفْ مـا هَـوِيـتَ فـإنَّـمـا هـواكَ عـدوٌّ والـخـلافُ صـديـقُ[٤]

ولأبي عبيد الطُّوسيّ:

والـنـفـسُ إنْ أعـطـيـتَـهـا مُـنـاهـا فـاغـرةٌ نـحـو هـواهـا فـاهـا[٥]

وقال أحمدُ بن أبي الحَواري: مررتُ براهبٍ فوجدته نحيفًا، فقلت له: أنت عليل؟ قال: نعم. قلت: مذْ كم؟ قال: مذْ عرفتُ نفسي! قلت: فتداوى؟ قال: قد أعياني الدواء وقد عزمتُ على الكيّ. قلت: وما الكَيّ؟ قال: مخالفةُ الهوى[٦].

وقال سهلُ بن عبد الله التُّسْتَرِيّ: هواك داؤُك، فإنْ خالفتَه فدواؤك.

وقال وَهْب: إذا شككتَ في أمرين ولم تدرِ خيرهما، فانظرْ أبعدَهما من هواك فأْته[٧].

---

(١) ذكر الثعالبي في التمثيل والمحاضرة ص ٤٥٤ البيت الثاني، وقبله البيت السالف الذي أوله: نون الهوان...

(٢) في (د) و(ز) و(م): ومن البلايا للبلاء، وفي (خ) و(ق): ومن البلاء للبلاء. والمثبت من (ظ) والمصادر.

(٣) البيتان في بهجة المجالس ٢/٣٠٦، وذم الهوى ص ٣٤.

(٤) البيتان ذكرهما الثعالبي في التمثيل والمحاضرة ص ٤٥٣ دون نسبة. وفيه: فخالف هواها ما استطعت. بدل: فدعها وخالف ما هويت.

(٥) البيت لأبي العتاهية كما في أشعاره وأخباره ص ٤٥٩، وفيه: اتبعتها. بدل: أعطيتها.

(٦) ذم الهوى ص ٢٨.

(٧) المحرر الوجيز ٥/٨٦. ونسب القول الأخير أيضاً لسهل بدل: وهب.

وللعلماء في هذا الباب في ذمِّ الهوى ومخالفته كتبٌ وأبوابٌ أشرنا إلى ما فيه كفايةٌ منه؛ وحسبُك بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ . فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: على علمٍ قد علمَه منه. وقيل: أضلَّه عن الثواب على علمٍ منه بأنَّه لا يستحقه[١]. وقال ابن عباس: أي على علمٍ قد سبق عنده أنَّه سيَضل. مقاتل: على علمٍ منه أنَّه ضالّ[٢]. والمعنى متقارب. وقيل: على علمٍ من عابد الصنم أنَّه لا ينفع ولا يضر. ثم قيل: «عَلَى عِلْمٍ» يجوزُ أنْ يكون حالاً من الفاعل؛ المعنى: أضلَّه على علمٍ منه به، أي: أضلَّه عالماً بأنَّه من أهل الضَّلال في سابق علمه. ويجوز أنْ يكون حالاً من المفعول؛ فيكون المعنى: أضلَّه في حال علم الكافر بأنَّه ضال.

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ أي: طبع على سمعه حتى لا يسمعَ الوعظ، وطبعَ على قلبه حتى لا يفقَه الهدى. ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ أي: غطاءً حتى لا يبصر الرشد[٣]. وقرأ حمزةُ والكسائيّ: «غَشْوة» بفتح الغين من غير ألف[٤]، وقد مضى في «البقرة»[٥]. وقال الشاعر:

أما والذي أنا عبدٌ له ... يَمينًا ومالَك أُبدي اليمينا
لئن كنتَ ألبستني غَشْوةً ... لقد كنتُ أصفيتُك الوُدَّ حينا[٦]

﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ أي: من بعد أنْ أضلَّه. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: تتَّعظون وتعرفون

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٤٧-١٤٨ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٢٦٥ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٢٦٥ .

(٤) السبعة ص ٥٩٥ ، والتيسير ص ١٩٩ .

(٥) ١/ ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٦) لم نقف عليهما .

أنَّه قادرٌ على ما يشاء.

وهذه الآيةُ تردُّ على القدريَّة والإماميَّة ومن سلك سبيلَهم في الاعتقاد؛ إذْ هي مصرِّحةٌ بمنعهم من الهداية.

ثم قيل: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ إنَّه خارجٌ مخرجَ الخبر عن أحوالهم. وقيل: إنَّه خارجٌ مخرجَ الدُّعاء بذلك عليهم(١)؛ كما تقدَّم في أوّل «البقرة»(٢).

وحكى ابنُ جُريج أنَّها نزلت في الحارث بن قيس من الغياطلة(٣).

وحكى النَّقَّاش أنَّها نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف(٤).

وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل، وذلك أنَّه طاف بالبيت ذات ليلةٍ ومعه الوليد ابن المغيرة؛ فتحدَّثا في شأن النبيِّ ﷺ، فقال أبو جهل: والله إني لأَعلم إنَّه لَصادق! فقال له: مَهْ! وما دلَّك على ذلك! قال: يا أبا عبد شمس، كنَّا نسمِّيه في صباهُ الصادقَ الأمين؛ فلما تمَّ عقلُه وكَمُل رُشْده، نسمِّيه الكذَّابَ الخائن!! والله إنِّي لأَعلم إنَّه لصادق! قال: فما يمنعُك أنْ تصدِّقَهُ وتؤمنَ به؟ قال: تتحدَّثُ عني بناتُ قريش أني قد اتَّبعت يتيمَ أبي طالبٍ من أجل كِسرة، واللاتِ والعُزَّى إنْ اتَّبعتُه أبداً. فنزلت: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾(٥).

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ هذا إنكارٌ منهم للآخرة،

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٦٥ .

(٢) ١/ ٢٨٤ .

(٣) قال ابن دريد في الاشتقاق ١/ ١٢٠ : بنو قيس بن عدي ، كانوا من رجال قريش ، يلقَّبون الغياطل . وكان قيس بن عدي سيِّد قريش في دهره غير مُدافَع . . . والغياطل : جمع غيطلة ، وهو الشجر الملتف.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٢٦٥ ونسب القول الأخير للضحاك بدل النقاش .

(٥) لم نقف عليه .

وتكذيبٌ للبعث، وإبطالٌ للجزاء. ومعنى: «نَمُوتُ وَنَحْيَا» أي: نموتُ نحن وتحيا[١] أولادنا؛ قاله الكلبيّ. وقُرئ: «ونُحْيَا» بضم النون. وقيل: يموتُ بعضنا ويحيا بعضنا. وقيل: فيه تقديم وتأخير، أي: نحيا ونموت؛ وهي قراءة ابن مسعود[٢].

﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ قال مجاهد: يعني السنين والأيام. وقال قتادة: إلَّا العمر[٣]؛ والمعنى واحد. وقُرِئ: «إلا دهرٌ يمرّ»[٤].

وقال ابنُ عيينة: كان أهلُ الجاهلية يقولون: الدهرُ هو الذي يُهلكنا، وهو الذي يُحيينا ويُميتنا؛ فنزلتْ هذه الآية[٥]. وقال قُطْرب: وما يُهلكُنا إلَّا الموت؛ وأنشد قولَ أبي ذُؤيب:

أَمِـن الـمَـنُـونِ وَرَيْـبِـهـا تـتـوجَّـعُ والـدّهْـرُ لـيس بـمـعْـتِبٍ مَـنْ يَـجْـزَعُ[٦]

وقال عكرمة: أي: وما يُهلكُنا إلَّا الله[٧]. وروَى أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «كان أهلُ الجاهلية يقولون: ما يهلِكُنا إلَّا الليلُ والنَّهار، وهو الذي يهلكُنا ويميتُنا ويحيينا، فيسبُّون الدهرَ. قال الله تعالى: يؤذيني ابنُ آدم يَسُبُّ الدَّهْرَ، وأنا الدَّهْرُ، بيدي الأمرُ، أُقلِّبُ الليلَ والنهار[٨]».

قلت: قوله: قال الله. إلى آخره. نَصُّ البخاريِّ ولفظُه. وخرَّجه مسلمٌ أيضاً

---

(١) في (د) و(م): يحيا.

(٢) الكلام بنحوه في النكت والعيون ٥/٢٦٦.

(٣) أخرجهما الطبري ٢١/٩٦.

(٤) هي قراءة ابن مسعود كما في تفسير الطبري ٢١/٩٦، والمحرر الوجيز ٥/٨٧. وقال ابن خالويه: يهلكنا إلا دهراً؛ ابن مسعود. تأويله إلا دهراً يمر.

(٥) أخرجه ابن حبان (٥٧١٥)، والحاكم ٢/٤٥٣.

(٦) النكت والعيون ٥/٢٦٦. والبيت في ديوان الهذليين ١/١.

(٧) النكت والعيون ٥/٢٦٦.

(٨) أخرجه الطبري ٢١/٩٧.

وأبو داود[١].

وفي الموطأ عن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا يقولنَّ أحدُكم: يا خيبةَ الدهر، فإنَّ الله هو الدهر»[٢].

وقد استدلَّ بهذا الحديث من قال: إنَّ الدهرَ من أسماء الله.[٣] وقال من لم يجعلهُ من العلماء اسماً: إنَّما خرج ردًّا على العرب في جاهليتها؛ فإنَّهم كانوا يعتقدونَ أنَّ الدهرَ هو الفاعل، كما أخبر اللهُ عنهم في هذه الآية؛ فكانوا إذا أصابهم ضَرٌّ أو ضَيْمٌ أو مكروه، نَسبوا ذلك إلى الدهر، فقيل لهم على ذلك: لا تسبُّوا الدهرَ؛ فإنَّ الله هو الدهر، أي: إنَّ اللهَ هو الفاعلُ لهذه الأمور التي تضيفونَها إلى الدهر، فيرجعُ السبُّ إليه سبحانه، فَنُهُوا عن ذلك. ودلَّ على صحة هذا ما ذكره من حديث أبي هريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: قال اللهُ تبارك وتعالى: يؤذيني ابنُ آدم ... الحديث[٤]. ولقد أحسنَ من قال، وهو أبو عليٍّ الثقفي:

يا عاتبَ الدهرِ إذا نابَهُ ... لا تَلُمِ الدهرَ على غَدْرِهِ[٥]

الدهرُ مأمورٌ، له آمرٌ ... وينتهي الدهرُ إلى أمرِهِ

كم كافرٍ أمواله جَمَّةٌ ... تزدادُ أضعافًا على كفرِهِ[٦]

ومؤمنٍ ليس له درهمٌ ... يزداد إيمانًا على فَقْرِهِ[٧]

---

(١) صحيح البخاري (٤٨٢٦)، وصحيح مسلم (٢٢٤٦): (٢)، وسنن أبي داود (٥٢٧٤)، وهو عند أحمد (٧٢٤٥).

(٢) الموطأ ٢/ ٩٨٤ ، وأخرجه أيضاً أحمد (٩١١٦) ، ومسلم (٢٢٤٦) (٤) .

(٣) الصحيح أن الدهر ليس من أسماء الله عز وجل. وانظر كلام المصنف بعده.

(٤) سلف قريباً. والكلام بنحوه في المفهم ٥/ ٥٤٩ .

(٥) الشطر الأول في المصادر الآتي ذكرها : يا لائم الدهر إذا ما نبا .

(٦) الشطر الأول في المصادر : كم كافرٍ بالله أمواله .

(٧) روضة العقلاء ص ٢٨٠ ، وشعب الإيمان ١/ ٢٣٢ . ونسب فيه لأحمد بن عبيد الله الدارمي .

وروي أنَّ سالم بن عبد الله بن عمر كان كثيراً ما يذكرُ الدَّهرَ، فزجرهُ أبوه وقال: إيَّاك يا بنيَّ وذِكْرَ الدهر! وأنشد:

فما الدهرُ بالجاني لشيءٍ لحَيْنِه ... ولا جالبَ البَلْوَى فلا تشتم الدّهْرَا
ولكنْ متى ما يبعثِ الله باعثًا ... على معشرٍ يَجعلْ مياسيرهم عُسْرا

وقال أبو عبيد(١): ناظرتُ بعضَ المُلْحدة فقال: ألا تراه يقول: «فإنَّ الله هو الدهر»!؟ فقلتُ: وهل كان أحدٌ يسبُّ الله في آباد الدهر، بل كانوا يقولون كما قال الأعشى:

إنَّ مَحَلًّا وإنَّ مُرْتَحَلا ... وإنَّ في السَّفْرِ إذ مَضَوْا مَهَلَا
استأثر اللهُ بالوفاء وبالـ ... عَدْل ووَلَّى المَلامَةَ الرَّجُلَا(٢)

قال أبو عبيد(٣): ومن شأن العرب أنْ يذمُّوا الدهرَ عند المصائبِ والنوائب؛ حتى ذكروه في أشعارهم، ونسبوا الأحداثَ إليه. قال عمرو بن قميئة(٤):

رمتني بناتُ الدَّهر من حيث لا أرى ... فكيف بمن يُرْمَى وليس برامِ
فلو أنَّها نَبْلٌ إذًا لاتَّقيتُها ... ولكنني أُرْمَى بغير سهامِ
على الراحتين مرَّةً وعلى العصا ... أنُوءُ ثلاثًا بعدهنَّ قيامي

ومثلُه كثيرٌ في الشعر. ينسبون ذلك إلى الدهر، ويضيفونَه إليه، واللهُ سبحانه الفاعلُ لا ربَّ سواه.

﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: علمٌ. و«مِن» زائدة، أي: قالوا ما قالوا شاكِّين.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي: ما هم إلَّا يتكلمون بالظَّنّ. وكان المشركونَ أصنافاً؛

---

(١) في غريب الحديث ٢/ ١٤٥ - ١٤٦.

(٢) ديوان الأعشى ص ٢٨٣. وفيه: ما مضى. بدل: إذ مضوا.

(٣) في غريب الحديث ٢/ ١٤٦ - ١٤٧.

(٤) في ديوانه ص ٤٥-٤٦.

منهم هؤلاء، ومنهم من كان يُثْبِتُ الصانعَ وينكر البعث، ومنهم من كان يَشُكُّ في البعث ولا يَقْطعُ بإنكاره.

وحَدَث في الإسلام أقوامٌ ليس يمكنهم إنكارُ البعث خوفًا من المسلمين؛ فيتأوَّلون ويرون القيامةَ موتَ البدن، ويرون الثوابَ والعقابَ إلى خيالاتٍ تَقعُ للأرواح بزعمهم، فشرُّ هؤلاء أضرُّ من شرِّ جميع الكفار؛ لأنَّ هؤلاء يُلبِّسونَ على الحقّ، ويُغتَرُّ بتلبيسهم الظاهر. والمشركُ المجاهرُ بشركه يحذرُه المسلم.

وقيل: نموتُ وتَحيا آثارُنا؛ فهذه حياةُ الذكر. وقيل: أشاروا إلى التناسخ، أي: يموتُ الرَّجل فتجعل روحه في مواتٍ فتحيا به.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ أي: وإذ تُقرأ على هؤلاء المشركين آياتُنا المنزَّلةُ في جواز البعث، لم يكنْ ثَمَّ دَفْعٌ.

﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ «حُجَّتَهُمْ» خبرُ كان، والاسم ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ الموتى؛ نسألهم عن صدق ما تقولون؛ فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ يعني: بعد كونكم نُطَفًا أمواتًا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ كما أحياكم في الدنيا. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الله يعيدُهم كما بدأهم.

الزمخشريّ: فإن قلتَ: لم سمَّى قولَهم حجةً، وليس بحجة؟ قلت: لأنَّهم أدْلَوْا به كما يُدْلي المحتجُّ بحجَّته، وساقوه مساقَها، فسُمِّيت حجةً على سبيل التَّهكُّم. أو لأنَّه في حسبانهم وتقديرهم حجَّةٌ. أو لأنَّه في أسلوب قولهم[1]:

تَحِيَّةُ بينِهم ضَرْبٌ وَجيعُ[2]

---

(١) في النسخ عدا (ظ): قوله. والمثبت موافق للكشاف.

(٢) عجز بيت لعمرو بن معدي كرب، وسلف ٣/ ٣٨٩.

كأنَّه قيل: ما كان حجَّتَهم إلَّا ما ليس بحُجَّة. والمراد نفيُ أنْ تكون لهم حجَّةٌ الْبَتَّةَ. فإنْ قلتَ: كيف وقع قولُه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ جواباً [لقولهم]: «ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ»؟ قلتُ: لمَّا أنكروا البعثَ، وكذَّبوا الرسلَ، وحسبوا أنَّ ما قالوه قولٌ مُبَكِّتٌ[١]، أُلزِموا ما هم مُقِرُّون به من أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ هو الذي يحييهم ثم يميتهم، وضُمَّ إلى إلزام ذلك إلزامُ ما هو واجبٌ الإقرارُ به إنْ أنصفوا وأصغَوْا إلى داعي الحقِّ، وهو جَمْعُهم إلى[٢] يوم القيامة، ومن كان قادراً على ذلك، كان قادراً على الإتيان بآبائهم، وكان أهونَ شيءٍ عليه[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ خَلْقًا ومُلْكًا.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ «يَوْمَ» الأوَّل منصوبٌ بـ«يَخْسَرُ»، و«يَوْمَئِذٍ» تكريرٌ للتأكيد[٤] أو بدل. وقيل: إنَّ التقدير: وله الملكُ يوم تقوم السَّاعة. والعاملُ في «يَوْمئِذٍ»: «يَخْسَر»، ومفعول «يَخسَرُ» محذوف؛ والمعنى: يخسرون منازلَهم في الجنَّة.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ﴾ أي: من هول ذلك اليوم. والأُمَّة هنا: أهلُ كلِّ ملَّة. وفي الجاثية تأويلاتٌ خمس.

---

(١) التبكيت: الغَلَبة بالحُجَّة. القاموس (بكت).

(٢) قوله: إلى. ليس في (د) و(م).

(٣) الكشاف ٣/ ٥١٣، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٦٣.

الأوَّل: قال مجاهد: مستوفِزة. وقال سفيان: المستوفز الذي لا يُصيب الأرضَ منه إلَّا ركبتاه وأطرافُ أنامله. الضَّحَّاك: ذلك عند الحساب.

الثاني: مجتمعة؛ قاله ابن عباس. الفرَّاء: المعنى: وترى أهلَ كلِّ دينٍ مجتمعين.

الثالث: متميِّزة؛ قاله عكرمة.

الرابع: الرابع: خاضعة، بلغة قريش؛ قاله مُؤَرِّج.

الخامس: باركة على الرُّكَب؛ قاله الحسن[١].

والجَثْوُ: الجلوسُ على الركب. جثا على ركبتيه يَجْثُو ويجثي جُثُوًّا وجُثِيًّا؛ على فُعول فيهما، وقد مضى في «مريم»[٢]. وأصل الجَثْوَة: الجماعةُ من كلِّ شيءٍ. قال طَرَفةُ يصف قبرين:

ترى جُثْوَتَيْنِ من ترابٍ عليهما صفائحُ صُمٌّ من صفيحٍ مُنَضَّدِ[٣]

ثم قيل: هو خاصٌّ بالكفار؛ قاله يحيى بن سلَّام. وقيل: إنَّه عامٌّ للمؤمن والكافر انتظارًا للحساب[٤].

وقد رَوى سفيانُ بن عيينة عن عمروٍ عن عبد الله بن باباه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «كأني أراكم بالكَوْم جاثينَ دون جهنم». ذكره الماورديُّ[٥].

وقال سلمان: إنَّ في يوم القيامة لساعةً هي عشرُ سنينَ يخِرُّ الناسُ فيها جُثاةً على

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٢٦٧ عدا قول الضحاك والفراء. وأخرج قول الضحاك الطبريُّ ٢١/ ١٠١، وقولُ الفراء في معاني القرآن ٣/ ٤٨.

(٢) ١٣/ ٤٨٧.

(٣) ديوان طرفة بن العبد ص٣٣، وسلف ١٣/ ٤٨٨.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٢٦٧.

(٥) في النكت والعيون ٥/ ٢٦٧. والحديث أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢١٣، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٩٢ (١٨٥٤١)، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ٢٩٩، عمرو: هو ابن دينار. قال ابن حجر في الفتح ١١/ ٤٠٥: أخرجه البيهقي في البعث من مرسل عبد الله بن باباه بسند رجاله ثقات رفعه. اهـ. والكوم: بالفتح: المواضع المُشرِفة، واحدها: كَومة. النهاية (كوم).

رُكَبهم، حتى إنَّ إبراهيمَ عليه السلام لَيُنادي: لا أسألُكَ اليومَ إلَّا نفسي[١].

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ قال يحيى بنُ سلَّام: إلى حسابها. وقيل: إلى كتابها الذي كان يُستنسخُ لها فيه ما عملتْ من خيرٍ وشرّ؛ قاله مقاتل. وهو معنى قول مجاهد[٢]. وقيل: «كِتابهَا»: ما كتبت الملائكةُ عليها[٣]. وقيل: كتابها المنزَّل عليها لِينظر هل عملوا بما فيه[٤]. وقيل: الكتابُ ها هنا اللوحُ المحفوظ[٥]. وقرأ يعقوب الحضرميّ: «كُلَّ أُمَّةٍ» بالنصب على البدل من «كُلّ» الأُولى لِمَا في الثانية من الإيضاح الذي ليس في الأولى؛ إذ ليس في جُثوّها شيءٌ من حال شرح الجُثوِّ كما في الثانية من ذكر السبب الداعي إليه، وهو استدعاؤُها إلى كتابها. وقيل: انتصبَ بإعمال «تَرىَ» مضمراً[٦]. والرفعُ على الابتداء. ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من خيرٍ أو شرّ.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ قيل: من قول الله لهم. وقيل: من قول الملائكة.

﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ أي: يشهد. وهو استعارة؛ يقال: نَطَقَ الكتابُ بكذا، أي: بَيَّن. وقيل: إنَّهم يقرؤونه، فيُذكِّرهُم الكتابُ ما عملوا؛ فكأنَّه ينطق عليهم[٧]؛ دليلُه قوله: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩]. وفي «المؤمنين»: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية: ٦٢]،

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ١٠١.

(٢) هو قول الكلبي، وليس بقول مقاتل ولا مجاهد. كما في النكت والعيون ٥/ ٢٦٩. وقول مقاتل ومجاهد فيه في تفسير الآية التي بعدها. والله أعلم.

(٣) ذكره بنحوه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٨٩.

(٤) ذكره بنحوه الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٢٦٨ ونسبه للجاحظ.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ١٦١.

(٦) ينظر مجمع البيان ٢٥/ ١٣٧، وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ٣٧٢، وهو من العشرة.

(٧) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٠٥.

وقد تقدَّم[١].

و«يَنْطِقُ» في موضع الحال من الكتاب، أو من ذا، أو خبرٌ ثانٍ لذا، أو يكون «كِتَابُنَا» بدلاً من «هَذَا»، و«يَنْطِقُ» الخبر[٢].

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: نأمرُ بنسخ ما كنتم تعملون.

قال عليٌّ ﷺ: إنَّ لِلَّه ملائكةً ينزلون كلَّ يومٍ بشيءٍ يكتبون فيه أعمالَ بني آدم[٣].

وقال ابن عباس: إنَّ الله وكَّل ملائكةً مطهَّرين، فينسخون من أمِّ الكتاب في رمضانَ كلَّ ما يكون من أعمال بني آدم، فيُعارضون حَفَظةَ الله على العباد كلَّ خميس، فيجدون ما جاء به الحفظةُ من أعمال العباد موافقًا لما في كتابهم الذي استنسخوا من ذلك الكتاب، لا زيادةَ فيه ولا نقصان[٤]. قال ابن عباس: وهل يكون النَّسخُ إلَّا من كتاب[٥].

الحسن: نستنسخُ ما كتبته الحفظة على بني آدم؛ لأنَّ الحفَظةَ تَرفعُ إلى الخَزَنة صحائفَ الأعمال[٦].

وقيل: تَحمل الحفظةُ كلَّ يومٍ ما كتبوا على العبد، ثمَّ إذا عادوا إلى مكانهم نُسِخَ[٧] منه الحسناتُ والسيئات؛ ولا تُحَوَّلُ المباحاتُ إلى النسخة الثانية.

وقيل: إنَّ الملائكةَ إذا رفعتْ أعمالَ العباد إلى الله عزَّ وجلَّ، أمر بأنْ يُثبَتَ عندَه منها ما فيه ثوابٌ وعقاب، ويُسقَطَ من جملتها ما لا ثواب فيه ولا عقاب[٨].

---

(١) ١٣/ ٢٩٧ - ٢٩٨ و١٥/ ٦٠.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٦٣.

(٣) أخرجه الطبري ٢١/ ١٠٥.

(٤) ذكره أبو الليث في تفسيره ٣/ ٢٢٧ من رواية الضحاك عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري ٢١/ ١٠٥.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٢٦٨.

(٧) في (د) و(ظ): نسخوا.

(٨) معاني القرآن للفراء ٣/ ٤٨ - ٤٩.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: الجنَّة ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ . وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي: فيقال لهم ذلك، وهو استفهامُ توبيخ .﴿فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن قبولها .﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ أي: مشركين تكسِبون المعاصي. يقال: فلانٌ جريمةُ أهله. إذا كان كاسِبَهم[1]؛ فالمجرم: من أكسبَ نفسَه المعاصي. وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥] فالمجرمُ ضدُّ المسلم، فهو المذنبُ بالكفر إذاً.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: البعث كائن .﴿وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ وقرأ حمزةُ: «وَالسَّاعَةَ» بالنصب عطفًا على «وَعْدَ». الباقون بالرفع[2] على الابتداء، أو العطف على موضع «إِنَّ وَعْدَ اللهِ». ولا يحسُنُ على الضمير الذي في المصدر؛ لأنَّه غيرُ موكَّد، والضميرُ المرفوع إنَّما يُعطَفُ عليه بغير تأكيدٍ في الشعر[3].

﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ هل هي حقٌّ أم باطل؟!

﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ تقديره عند المبرِّد: إنْ نحن إلا نظنُّ ظنًّا. وقيل: التقدير: إنْ نَظنُّ إلَّا أنَّكم تظنُّون ظنًّا[4]. وقيل: أي: وقلتم: إنْ نظنُّ إلا ظنًّا.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ أنَّ الساعةَ آتيةٌ.

---

(١) الصحاح (جرم).

(٢) السبعة ص ٥٩٥ ، والتيسير ص ١٩٩ .

(٣) الكلام بنحوه في الحجة ٦/ ١٧٩ - ١٨٠ .

(٤) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٦٣ .

قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي: ظهر لهم جزاءُ سيئاتِ ما عملوا. ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي: نزل بهم وأحاط ﴿مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ أي: نتركُكُم في النار كما تركْتُم لقاءَ يومِكم هذا، أي: تركتم العمل له. ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: مسكنُكم ومستقرُّكم. ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مَنْ ينصرُكم.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآن ﴿هُزُوًا﴾: لعباً. ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ أي: خدعَتْكُم بأباطيلها وزخارفها؛ فظننتُم أنْ ليس ثَمَّ غيرُها، وأنْ لا بعث.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ أي: من النار. ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: يُسترْضَوْن. وقد تقدَّم[1].

وقرأ حمزةُ والكسائيّ: «فاليوم لا يخرجون» بفتح الياء وضمِّ الراء[2]؛ لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]. الباقون بضمِّ الياء وفتح الراء؛ لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾ [النساء: ٧٥]. ونحوه[3].

---

(١) ١٢/٤٠٧ - ٤٠٨.

(٢) السبعة ص ٥٩٥، والتيسير ص ١٧٥.

(٣) الحجة للفارسي ٦/ ١٧٩.

قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قرأ مجاهد وحُميد وابن مُحَيْصِن «رَبُّ السمٰوات وربُّ الأرض ربُّ العالمين» بالرفع فيها كلِّها على معنى: هو رَبُّ[1].

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ أي: العَظَمَةُ والجلالُ والبقاءُ والسلطانُ والقدرةُ والكمال ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٩٠ ، وذكر القراءة فيه عن ابن محيصن ، وهي قراءة شاذة.

(٢) بعدها في (د) و(م) : والله أعلم . ختم تفسير سورة الجاثية والحمد لله .